سلسلة القصة العربية المعاصرة (98)

صباح نبوءات شريدة

22 قصة قصيرة

جمال الجزيري

دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني

طبعة أولى

نوفمبر 2015

سلسلة القصة العربية المعاصرة (98)

سلسلة تصدر عن دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني

المؤلف: جمال الجزيري

العنوان: صباح نبوءات شريدة: 22 قصة قصيرة

التصنيف: قصص قصيرة [قصة، أدب عربي معاصر، فن السرد]

الطبعة الأولى: نوفمبر 2015

تصميم الغلاف: المبدع محمود الرجبي

تصميم الكتاب ومراجعته لغويا: د. جمال الجزيري

الناشر: دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني

دار نشر إلكترونية مجانية لا تهدف للربح

للمراسلة لنشر أعمالكم في السلاسل المختلفة التي تصدرها الدار، الرجاء قراءة التعريف بمجموعة دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني لمعرفة مواصفات تجهيز الملف:

https://www.facebook.com/groups/Ketabat.Jadidah.Ebook.Publishers/

وإرسال الملف وفقا لشروط النشر على إيميل د. جمال الجزيري أو على الخاص في صفحته على الفيسبوك:

elgezeery@gmail.com

https://www.facebook.com/gamal.elgezeery

أمن النبوءات

كان الضوء يأخذ وقتا أطول من عمره. وكنت أَمَلُّ التطاولَ. كنت أكره الامتدادَ. فأخذتُ أعبث في يديّ علّ لفائف الإشراق التي سَمَجَتْ تطوي نفسها وتنصرف. لكن الكلامَ نفسه أخذ يطرق باب أذني للمرة الألف دون أن يملّ أو أُحِسَّ بنبرة واحدة منه.

ولأنني أدركت أن خروجي في ذلك التوقيت سَيُحْسَبُ عليّ ويجرُّني إلى قائمة اتهامات ومساءلات في العمل وفي العلم لا تنتهي وربما حتى تكفيري كأنهم يحاسبونني على أنفاسي، خلدتُ إلى الصمت والبحلقة الفارغة إلى الوجوه "المشرقة" التي تتكلم. بينما أفسحت لعقلي وقلبي المجال لينتشيا خلف حجاب الجسد ويرتعا في إشراقهما، ينسِّقان حركاتهما وانطلاقاتهما ويبثَّان التدفُّقَ فيما يراودني من أحاسيس لا يحتويها سوى الورق الصامت في ذلك المكان.

حاولتُ ألا أُلْفِتَ الانتباهَ بانخراطي في الكتابة فأخذت أزاوج بين النظر إلى الورق وحركة القلم وبين النظر إلى

الوجوه "الباسمة" أمامي وكأنها تطلق نبوءاتٍ طازجةً بشرى لنا جميعا. لم أدرِ كم من الوقت مضى. لكنني أحسست من الحركة حولي ومن صمت "الإشراق" أن النبوءات أخذت هدنة وأننا يحق لنا الخروج الآن. لكنني قبل أن أخرج تدبرت حركة قدمي أو أنهم سألوني عن رأيي.

لم أعلن شيئا. فقط تكلمت كلمات عامة ربما يفهمها البعض على أنها ثناء على ما كان من المفترض أن استمع إليه بامتنان. أو ألقيت نظرة امتنان دُسْتُ عليها، أو أنني بعثرتها على الوجوه كي لا يتصيَّد لي أمنُ النبوءات خطيئةً يحاسبني عليها أبد العمر دون أن أطلق أيادي دمي على الورق، شاهدة على جرمي وجرمهم.

27 أبريل 2009

رحلة مُجزية

قال كلمة مجنونة، وأخذ يرتشف كوب الشاي في شوق، كأنه يتلهَّف لطعم الشفطة الأخيرة على لسانه وأثرِها الباقي في قاع حَلْقِهِ. نظر إلينا قائلا:

- ألم أقل لكم للنَّفَسِ الطويل رحلةٌ مجزيةٌ؟

قالها، ثم استدار إلى كوبه الفارغ وأخذ يقلبه بالملعقة ذاتها، ويده تسارع حركتَها، كأنها تسابق الزمن، أو تصارع الرياح المتجبِّرة.

نهض وتحرك نحو المنضدة بجوارنا، وأحضر مجموعة من الأكواب الزجاجية الصغيرة، وبدأ يقطِّر في كل منها رشفات مما في الكوب الأكبر الذي كان يقلِّبه للتو. دار علينا بالأكواب.

- ما شاء الله.

- لذيذة فعلا.

- أحس بثراء طعمها في قاع حلقي.

- يبدو أنك أكثرت من النعناع البرِّيِّ.

- لم يكن نعناعا يا رجل. كان قرنفلا.

في البداية أحسستُ بغرابة تكمن وراء هذا الحوار، لكنني سرعان ما اندمجتُ، ووجدتُني أتأمَّلُ كل تفصيلة من تفصيلاته، وكل حرف من كلماته، كأنني أرتشف عصير توت بري لا أستطيع أن أبعد نفسي عن مرارته، ولا أستطيع أن أحدد تلك الحلاوة المجزية التي تشدّني إليها كأنها الإغراء ذاته.

قام من بيننا وعلى وجهه علامات أسفٍ، قائلا:

- معذرة يا رجال. كل ما استطعتُ أن أجهِّزه لكم اليوم هو هذا الشراب. ربما أتمكن في الأيام القادمة من أن أجهِّز لكم غداء كاملا.

فخرجت أودِّعه إلى باب المنضرة وأقف بجواره إلى أن يركب حماره.

نظرت إليه وهو يبتعد وتحسست بطني لأربِّت على حركة حنين وتلهُّفٍ إلى الغداء المنتظر.

9 أبريل 2010

إرسال ضعيف

لا يريد ذلك الصديق اللعين أن يجيء إليك. وربما كان يتهرب من أن تصطاده لتقرأ عليه ما كتبتَ. يفضل الجلوس على مقهى أرابيسك. وبرغم عشقك القديم للمواجهة، إلا أنك لا تود قراءتها على مقهى، آذان الكراسي. لا تبصر فرقا بين العقود. تقرر – عندما تجمّع جنيهاتك – أن تطبع مجموعتك على نفقتك الخاصة. تطاردك في كوابيسك مجموعاتُك ودواوينُك المدفونةُ في أدراج الهيئات وعمّال المطابع الذين يتظاهرون....

قبل أن تخرج إليهم تتصل بحسن عبد اللطيف الذي تريد أن تغلبه ولو لمرة واحدة في لعبة الدومينو، فتجد تليفونه مشغولا. تخبر زوجتك أن تقول له إنكم موجودون على أرابيسك في الدور الثاني إن اتَّصل.

تتذكر الكمبيوتر الذي هزمته. تجلس كل يوم أمامه لساعة أو ساعتين. تقلّب أوجه احتمال الأوراق، كيف تلضمها ببعضها البعض، كيف تتحايل عليه بتنشيط ذاكرتك

بما ليس لديه من أوراق، كيف تتعمد أن تضع الورقة التي ليست بيديه فيسحب كل الأوراق، وتظل تتلاعب به إلى أن ينفد ورقُكَ وتفوز....

يلفت حسن انتباهك إلى أن الدور جاء عليك، وعليك أن تختار ورقة الدومينو المناسبة. ترفع رأسك. تتفرس في الوجوه علَّك تستنبط منها علامة أو إشارة من تلك التي يرسمها هو وسيف لبعضهما حتى يتهربا من دفع الحساب. تخونك علاماتك. تجد وجوههم محايدة. وعندما تتبين في وجوههم خسارة تتوعدك، تنقل عينيك إلى أوراق الدومينو. "تنشرها" بين يديك دون أن يراها أحد وتفكر...

2004

صباح شريد

رجل وحيد في نهاية الطرقة يبدو كشبحٍ شريدٍ شديد الألفة لا يخيف أحدا، بل يقبع مسكينا كسيرا كأنه يخشى أن يكنسه عامل النظافة مع القمامة ليلقي به في برميل سيغرقه بعد دقائق في المستنقعات ويوزع أنفلونزا الخنازير على الجميع بالتساوي.

رجل كأنه الهوان، منكبّ على مكتبه طيلة النهار وجزء من الليل لكي يجمّع قروشا لا تميته جوعا، وكأنه جزء من المكان، جزء من الزمان، دون أن يلتفت إليه أحد، أو يلقي عليه بتحية الصباح أو المساء أو يبتسم في وجهه.

رجل تنهره الأتوبيسات، لكنه يظلّ عالقا على بابها، كأنه يطوف أو كأنها تشهّر به في الشوارع. وعندما يوشك الأتوبيس أن يقع به من فوق الكوبري يلقي بنفسه، لكنه لا يقع في عرض الشارع كي تدهسه السيارات، بل يظلّ معلَّقًا على سور الكوبري كأنه الرياح أو كأنه مَرْكَبٌ في انتظار الانفتاح. لكنه يظلّ واقفا وعليه أن يسير ويحاذر كي لا

تطارده الأتوبيسات فتغرقه في النهر، كي لا تطارده السيارات فتدهسه على الرصيف.

رجل على مكتب متهالك، تتسع الطرقة لتضم مكاتبَ أخرى ويصير هو نسيا منسيًّا في ركنٍ كباقي مَن يجلسون على المكاتب دون أن يلقي أحد عليهم تحية صباح جديد.

10 أغسطس 2009

تنهيدة

نظر إلى الأفق البعيد وتنهد، لم يَدْرِ إن كان يتحسَّر على أولئك الأشخاص الذين يسيرون بعيدا نحو المطار، أو أنه يأسف لما وصل إليه بعد كل هذي الطريق. دار بعينيه يمينا ويسارا. لم يجد نسمة هواء تواسيه. نهض. طوي الصحيفة التي كان يتفحص إعلاناتها وعاد على الطريق الضيقة التي كان قد سلكها في الصباح بحثا عن لقمة يسد بها جوعه.

كان قد اعتزم من قبل أن يرتشف العلقم حتى يسد أفواها تترقبه. وها هو الآن يدرك طعم العلقم في مؤخرة حلقه ولا يستطيع الإمساك به. فكَّر وهو في طريقه أن يصوِّر معاناته في قصة، فضحك ساخرا دون أن يعبأ بما إذا كان هناك أحد على الطريق:

- قصة ماذا يا موهوم؟ قبل أن أفكر في ذلك عليّ أن التحم بالطابور، أن أجد لقدمي مكانا تقف عليه، حتى ولو كان مكانا دبقا، لا يهم.

همستْ في أذنه الريحُ بكلمات لم يتبيَّنْها، أو بالأحرى لم يستطع ترجمتها. لم يعبأ بالأمر كثيرا. كل يوم تتوارد على أذنيه آلاف الكلمات، لم تفده بشيء، أو تخرجه من حال إلى حال. عاودت الريحُ الهمسَ، الزعيقَ، الصراخَ، العويلَ، النحيبَ. فدار للوراء. خلع نعليه. جرى لاهثا، علّه يلحق بأولئك السائرين نحو المطار....

صمت

متكئًا بظهره الذي بدأ يميل إلى التقوس على النخلة المشاكسة، يراوغ بعينيه الشمس الغاربة، فلا يحب أن تواسيه أشعَّتُها الفاضحة. تتقلب عيناه ذات اليمين وذات اليسار بنظرات متثاقلة على غيط الطماطم الذي انخفض سعر الكيلو منه إلى عشرين قرشا... ما عاد بقادر على أن يدفع أُجْرَة "العيال" الذين يحضرهم لجني الطماطم، فما يجنونه لا يسدِّد شيئا ولا يقوى على تحمُّل أي شيء...

تأتي حفيدته لاهثة وترتمي في حضنه، فيضمها إلى صدره في صمت وشرود. يربِّتُ على ظهرها بوهنٍ كأن أحمالَه تجرّه إلى طينِ قاعِ ترعةٍ تلطّخ صمته ولا تتركه لحساباته.

يعتدل في جلسته مهلا عندما يرى أحد الجيران قادما. يشير له بيده مرحبا وكأنه وجد عنده الحلَّ الذي سيخرجه من ضيقه:

- أين كنت يا أبا بهاء؟ الواحد قاعد من العصر وجسمه مضعضع ورأسه مُفَرْتَكَةٌ.

- والله مشاغل يا أبا محمد. الواحد يحسبها يمينا شمالا لا تنفع.

وكأن هذا الكلام القصير فرّغ بعضا مما في صدره من كدر، فها هو يرسل حفيدته لأمها كي تُجهِّز كوبين من الشاي الثقيل، ويحمد الله أن الشمس قد غربت وولت وتركت له ظلاما بادئا في الصحو يمكِّنُه من أن يخبئ ما في عيونه عن أولاده وأحفاده.

2001

حتّى أنت يا فول!

عيدان الفول تتراقص حوله. لا تهتم بالتضحية الوشيكة بها. كل ما يشغل بالها أن تخرج حبوبا تستطيع أن تغرس بذور فرحة في قلب صاحبها. وهو لا يسعه كل فرح العالم. عيناه تتحولان بشوق بين حِزَمِ الفول المتراصة. المحصول سيحل كل شيء. سيسدد ديونه ويرفع وجهه في أعين الناس. يتحرك سَيْرُ الدَرَّاسَة. تتجاوب معه يداه فتحمل أغمار الفول "لتُلَقِّمها" بقوة في فم الدرَّاسة الشره. يقفز قلبه كلما سمع صوت الأذرع الحديدية. فيتلقف أغمار الفول بشوق ممتد ما بين الأرض وفوهة الدراسة. يدفع الغُمْرَ تلو الآخر، دون أن يعبأ بخدوش يديه، في انتظار كوم الغلة الذي سيكبر ويملأ نصف الجُرْن علي الأقل.....

يُحْضِرُ ابنُه الصغيرُ الشاي. يشرب كل الجيران الذين جاءوا للمساعدة في تلذذ. وعندما يرجعون للعمل، يصعد أحدهم الدراسة ليساعده. يترك له مكانه، ويزدرد الشاي بنشوة. يحرك عينيه بتمعن إلي جانب الدرَّاسة لكي لا "يطب

ساكتا" من الفرحة عندما يري حبوب الفول تتسابق للنزول، وتجعل كومةَ الْغَلَّةِ تعلو في عنان الجُّرْنِ.

ينتفض جسمه. وينزلق كوب الشاي من يده. فالمقطف الكبير لم يمتلئ بعد، ولا توجد بجانبه كومة كبيرة تكبس فيها الحبوب علي نَفَسِ بعضها البعض. تختلط الصور أمام عينيه وتقتل بريقهما. تنفتح رأسه علي كل معنى. يهرول عقلُه ويتداول الأفكار القادمة في سرعة جنونية. وعندما يحس بضغطها الشديد، يضحك ساخرا:

- حتّى أنت يا فول!!

ويكمل شرب الشاي.

2001

رجل عند خط الاستواء

صورة واحدة لا تبرح رأسه: "دمية رسموها ثم استدعوها من غرفة الانتظار وأجلسوها أمامهم لسبع دقائق ملؤها باللاشيء والسخرية من ثقته بذاته وأسلوبه البديع دون أن يتهجوا حرفا واحدا منها، ثم أشاروا بأيديهم إشارة متأففة بأن ينصرف، فانصرف ولم يستطع أن يقول شيئا أمام مجلس "الأوصياء".

يحاول أن يغمض عينيه علّ النوم يُنْزِل عقله الملتهب "بردا وسلاما" أو يعلن هدنة. لكن النوم لا يدرك جدوى محاولات الصلح، وكأنه يقول:

- حتى لو دثّرتُكَ بأنفاسي وتركتُ الأرقَ لباقي البشر، لن يهدأ عقلُكَ دقيقة واحدة، ولن يستوعب شيئا.

ينهض من سريره في هذا البرد القارس ليقرأ "نساء عند خط الاستواء" أو رجال، فالكل سواء، أو "نساء المنكر"، أو رجاله أو "تاء الخجل" أو ياءه، أو حكايات في

بر مصر، ظنا منه أن القراءة قد تريحه وتفك اشتباك الأفكار المتصارعة في رأسه. لكنها لا تزيده إلا أسئلة.

يحاول أن يستدفئ بجسده، فيندكّ جسده دون أن يدكّ متاريس الأفكار. وعندما ينفض الماء آثارَ الدكِّ من على جسده، يترك رأسه لدغدغة الدُّش وتدليك الصابون ساعةً، يحاول فيها أن يغمض عينيه ويترك مسامَ جسده لهمس الماء وحميمية السريان. يجد خيوطا تظهر ملامحُها في الظلام الذي تسدله رموشُه، فيمسك برزاز الماء ويخط بعض الحروف على صفحة البخار. تنفث الحروفُ خدرَها بين طبقات رأسه، فتتسلل الدغدغة إلى تلافيف مخه ويبدأ عقله في الاسترخاء. فيغلق الدُّشَّ على عجلٍ ويرتدي ملابسه دون أن يجفِّفَ جسده. يمسك القلم ويبدأ في لملمة الخيوط التي شردت من رأسه في دفتر يرافقه أبد الخط.

29 أبريل 2009

أتوبيس

يلقي غريب السلام على زملائه بأتوبيس الجامعة. يجلس بجانب فارس زوبعة.

- كيفك؟

يقولها له بود، بحميمية. يلاحظ زوبعة انسجامه غير المعتاد. يحكي له كيف أنه بدأ من جديد، كيف أنه استعاد نفسه وأخضع الواقع الذي فاق كل العجائب للكتابة:

- كيفك أنت؟

يرد بها عليه، ثم يقول متسائلا أو مقررا أو منكِرا:

- يبدو أنك مبسوط؟

بالرغم من أنه يعشق الحياة إلى مبلغ الجد. يلتفت إليه غريب قائلا إنه قاوم الاعتيادَ ونجح في إحباط تآمره على قتلِ البهجة. يفاجئه زوبعة بحله المثالي التي توصل إليه بعد عناد تفكير:

- سأكف عن القراءة ومتابعة الأخبار وعن الاهتمام بالفن والإبداع، فما الذي جلبه كل ذلك سوى همٍّ ووعيٍ وكدرٍ يفسدون علينا الاستمتاع بالحياة؟ الإنسان يعيش مرة واحدة يا أيها الحالم الصغير! وأنا لن أضحي بحياتي في مقابل هموم قد يتضح أنها أوهام! الواحد بدأ يشك في جدوى كل شيء.

يلفت غريب انتباهه لسهولة تخليه عن نفسه ومقاومته الذاتية بهذه الصورة واستسلامه للمخططات. يشكك زوبعة في إيمانه بما يقول. يتظاهر غريب بأنه يقرأ في في رواية "أليس في بلاد العجائب" التي يدرّسها لطلاب الفرقة الأولى، فيقاطعه زوبعة أو يظن أنه يقاطعه، إذ أن غريبا كان يترقب كلامه. يحدثه عن مظاهرة الطلاب بالأمس. يرسم غريب تكشيرة على وجهه الذي لا يستطيع التحكم في حركاته. يلتفت إليه. ثم يقول ببرود:

- لِمَ تتحدث في هذه الموضوعات؟ ألم تقل إنك ستكف عن هذا؟

فيرد مبتسما ابتسامة قد تجمع بين المكر والبراءة إنه يعلق فقط. يزيد غريب الاستغراب المرسوم في نظرته ويقول مستفزا أو مازحا:

- وما الذي يُدخلك في هذه الموضوعات؟ دعها لنا نحن، ألم تخرج؟

يضحكان في آن ولكنهما سرعان ما يكتمان ضحكاتهما كي لا يروّج الزملاء الدكاترة عنهما كلاما بالجنون.

الرئيس الجديد

وقفنا في الطابور نحيِّي العلم. لكن أستاذ فَصْلِنَا أمامنا أشار إلينا بيديه في حزن كأنه يلفت انتباهنا إلى شيء. قال أمامنا:

- تحيى جمهورية مصر العربية.

فرددنا وراءه في حماس. وقبل أن نسارع بـ:

- يعيش الرئيس محمد أنور السادات.

وجدناه يوقفنا ويقول:

- يعيش الرئيس صوفي أبو طالب.

ترددنا قبل أن نكرر وراءه تحية الرئيس، إذ أننا شككنا أن يكون الأستاذ قد أخطأ ولم يعد يتذكر السيد الرئيس. لكنه كررها وهو يحثُّنا على التحية وراءه، فرددنا وراءه دون أن نعرف سببا لحزنه، فعلى الأقل غيّرنا من طابورنا المعتاد اليوم.

ظننا ساعتها أن الأستاذ سيحيِّي كل يوم رئيسا جديدا، وبدأنا في اختراع اسم آخر سنهتف بحياته غدا. لم نهتم كثيرا بنظرة الحزن في عين أستاذ الفصل، فالأهم بالنسبة لنا ألا يتحجج الأستاذ حمادة موزع التغذية بالحزن البادي ويمنع عنا غداءنا. استغربنا من أن الأستاذ بدأ بتحية العلم ولم يؤخرها إلى آخر الطابور كما تعودنا. وبعد التحية أشار إليّ لألقي كلمة الصباح. شعرت بالخجل أو الحيرة، فلم ألقها من قبل وليست لدي ورقة كتبها لي أحد الأساتذة أو الأقرباء كزملائي الذين يخرجون لإلقاء كلمة الصباح. لم أجد إلا كتاب اللغة العربية وفتحت على صفحة فوجدتها بداية درس قراءة وأخذت أقول:

- تهاجر الطيور من مكان إلى مكان ولهجرتها أسباب متعددة...

وعندما شعرت بالحرارة والأتربة فوق رأسي في ذلك الخريف، نظرت إلى الأستاذ ليعفيني، فأشار عليّ بالدخول

وحيينا العلم من جديد وحيينا الرئيس الجديد الذي لم نسمع باسمه من قبل، ممنين أنفسنا بأسماء جديدة في الغد.

2 ديسمبر 2009

رهن لا ينفك

يلقي الصنارة من على "كوبري المنيب"، ربما بعفوية، ربما باحتراف. يتلاعب الهواء بالخيط الذي يرهنها به، وربما لم يُرِد أن يكون طُعْمُه ثقيلا على السمكة. يرتشف رشفة من شاي صبَّه من "الترموس"، يتذكر شايا كان يجهزه بجانبه على نيل سوهاج، أو ترعة جهينة. يرتشف رشفة أخرى. يستشعر جفاء بين صنارته والسمك:

- هل كان ارتفاع الكوبري سببا؟ أم تراها حداثته؟

ينتقل إلى "كوبري الملك الصالح"، أمام "سينما فاتن حمامة". يطيل النظرَ إلى أفيش فيلم "عايز حقي" وربما فيلم "ليه يا بنفسج"، ثم يهبط إلى الماء أسفل الكوبري. يدنو منه. يلقي صنارته. تصطدم بالطمي. تمرح بعض السمكات الصغيرات بجانبه بين عُلَبِ الصفيح. يمسك واحدة. تنظر إليه في عتاب. فيضعها في حنو في رحم الماء.

كان قد تراهن مع أصدقائه بشقة الجيزة على من يحضر أكبر قدر من السمك، ولكن السمك يخاصم صنارته

أو هو الذي يباعدها عنه. يلملم عدّته. يسير عبْر "الْمَنْيَلِ" إلى كوبري عباس. يشتري في طريقه بعض المخللات و"أخبار الأدب" و"العيش على الحافة" لشكري عياد. يجلس أسفل الطرف الآخر من الكوبري. ينتظر "المراكبي" في آخر الليل. يشتري منه ما اصطاده ويذهب به مستبشرا ليفاخر به الأصدقاء. وفي اليوم التالي عندما يكررون الرهان يتعلل بأنه مرهق ولا يستطيع أن يصبر على جلسة الصيد.

13 مايو 2008

حياة باقية

أفر من الصقيع إليكِ، أجدكِ صقيعا تهزمكِ الوحدةُ، وتعدِّين أنفاسا كانت لكِ علّكِ ترينها مرة أخيرة قبل أن تفارقكِ. هل كنتِ مثلي تبحثين عن الحقيقة في العراء وتنبشين عن خيط واهٍ ربما كان؟ أم أن صديقكِ العراءَ خانكِ ورصَّ في جسدكِ أبياتَ بردٍ كالمخيمات التي تحتلُّ دِفْءَكِ؟

أبحثُ عن جذر الدفء فيكِ. استنهض انتفاضتكِ. أرميكِ بالحجارة، فتتصدع أبياتُكِ، وأجدكِ مازلتِ قادرةً على الحياة، وأجدني أمزج الجذور بأبياتٍ تستبقُ الدفءَ، فنعوي، والقافلة ثعلب يمثّل الظلام، أو ذئبٌ يتشمَّمُ رائحتَنا.

لكن الجسدَ يهبطُ في الجسدِ، يصعدُ ويصعدُ، يبتهلُ لبقايا رمادٍ وآثارِ حصادٍ يتطلَّعُ لأنْ يجنيَ غَلَّته، يهبطُ ويصعدُ. يُسْخِنُ فتيلَ حرارةٍ مقتولةٍ فينا، فتشتعلَ نارا كلغمٍ قديمٍ وبركانٍ يَخْرُجُ ليشمَّ ريحَ البرد، ثم يعود إلى نومه مطمئنا على وجود النقيض.

يجري الذئب بعيدا للقافلة أو أنه هي، ونظل نعوي، وما من سبيل أمامنا أو وراءنا سوى أن تمتزج أجسادنا لتنفخ الرَّوْحَ في بقيَّةِ حياةٍ، و"حياةُ القافلةُ الباقيةُ"، فنحتمي من الصقيع بأجسادنا ولا نبالي بالقافلة التي لا تبالي بشيء.

12 نوفمبر 2009

وجوه العملة

حاولتُ أن أجعل نفسي وجهين لعملة واحدة. لكنني فشلت فشلا "ناجحا"، إذ أن كل الوجوه حولي لا تقبل إلا أن تختزلني في بعض الملامح التي ترتئيها: لا تقبل أن ترى ملامحي الأخرى. وإن بَدَرَ ملمحٌ يُوجَّه لي إنذار فوري بشجبه وإدانته.

كان من الصعب عليّ في البداية أن أتكيف مع هذا الوضع: إذ كنت أعتقد أنني كيانٌ واحدٌ لا يقبل التقسيم أو الانشطار. لكنني عندما أدركتُ أن الصِدَامَاتِ ليس لها نهاية وأنها فرصة مثالية للآخرين لكي يوقعوا بي وأن معظم ملامحي لا يفهمها أحدٌ، توقَّفتُ. أعدتُ حساباتي. ساعتها أدركت وجوب الفصل بين وجهي "الجميل" وبيني. أقمت سورا معتما حول حياتي الخاصة وأفكاري وأحلامي وأبحاثي وقراءاتي. واكتفيت "بنسخة محدودة الإمكانات" مني أخرج بها على الملأ.

بدأ الصدام يخف وبدأتُ أحظى بامتيازات ما كانت تقترب مني أبدا سابقا. لكنني كنت متنبها تماما للحد الفاصل بين وجهي على الملأ ووجهي الحقيقي. فبمجرد أن أخرج من مقر عملي، أنسى تماما أنني أعمل به. وعندما أضع المفتاح في باب شقتي، أستعيد شخصيتي التي أعلقها على المشجب خلف الباب وأعيشُ كاملَ وجوهي.

28 أبريل 2009

هذه أسئلتي أتوكأ عليها

أحسَّ بأنه معلَّقٌ على مشنقة ذاته، فطفحتْ علاماتُ الاستفهام من عينيه. لكن عيونهم التي تحاصره من كل الجهات ظلت زجاجا كما هي، ولم تبدر منها كلمةٌ واحدة. التفت إليهم من جديد علّ أسئلته تستجوبهم، لكنهم أمروه بالخروج إذ أن جلسته مرفوضة. فحمل أسئلته على ظهره وخرج. وعند الباب همس في أذنه عامل البوفيه منبّها:

- ألم تدفع؟

فتكاثرت أسئلته وأفرخت في عينيه أسئلة بكرا. حاول أن يستفسر عن معنى السؤال، فقال له:

- لو كنتَ دفعتَ ما تشرَّدَت الأسئلةُ في عينيك.

أحس من تربيته على يده بلغة مشتركة بينهما، وربما أبصر في عينيه انكسارا مماثلا، ربما لأنه دعاه لتناول الشاي في البوفيه متفهما أسئلته.

وبعد أن تبادلا نظرات جانبية، خلد إلى الصمت. فقط كان صوت الرشفات يرتب أفكاره أو يُنضج أسئلتَه في حرارة الكوب. وعندما أحس بالنار تحرق أسئلته انتبه:

- كيف أدفع مقابلَ شيء هو لي؟

نهض ووضع أسئلته في حقيبته لتُدفئ تاريخَه. ألقى نظرة مشفقة على زملائه المنتظرين أدوارهم للدخول للجْنَةِ ولكنه ازداد إيمانا بهم وبنفسه، ثم خرج يتوكأ على أسئلته، حالما باستئناف مُحال.

18 أبريل 2009

أمانة بين يديّ الطين

اتسع الصديري على صدره وما عاد يلتصق به، كأنه يخاصمه أو يجافيه. عندما تراه قادما نحوك تبصر صديريا يعلو ويهبط، وكأن له أقداما تسرع الخطى، وكأن من بداخله ليس سوى عَظْمٍ "له ماضٍ". لكنه عندما يهوي بالفأس على الأرض، يعزق الأمتار في دقائق معدودة ليوشك قبل الظهر أن يعزق الغيط كله. عندما تصل الشمس إلى ثلثي السماء و"تنكسر" حرارة الظهيرة، يكون قد قسّم الأحواض إلى مجارٍ صغيرة وأطلق الماء في المجرى الكبير جُمْلَةً ليوزِّعَها بالقطّاعي على مهلٍ.

تمسكُ أنت والجيران فسائلَ الطماطمِ، وتغرسون الفسائل في التراب الذي رطَّبته المياهُ. يجلس هو على البعد يراقب انتظام حركات أصابعكم التي تنسل بخفة في باطن الطين لتترك الفسائل أمانة بين يديّ هذا الطين، ويتأكد هو من انتظام المسافات فيما بين الفسائل.

يبتسم، ثم يغلق مجرى المياه، ويجلس بجانب النخلة ليجهّز لكم شايا على أعواد البوص:

- الشِّدَّة يا شباب"...

13 مايو 2008

لغة الريح

قالت له الريح وهو يدور في فلكه المعتاد:

- ألن تتوقف قليلا وتحاول أن تحس بالحياة؟

وكأنه لم ير الريح أمامه، أخذ يهزّ رأسه ويستعيذ بالله من شيطان رجيم قد يحيده عن "صراط مستقيم". لكنها عندما أعادت عليه نفس السؤال، بدأ يبصر أطرافها، وكأنها خيال يحاول أن يغويه، أو أنه بدأ يخرج قليلا عن الفلك. وعندما لم يردّ عليها، ألقت عليه السؤال في غضب. تذكَّر مثلا يقول:

- الثالثة ثابتة.

وأخذ يزيل ما على عينيه من غشاوة، وبدأ يتوضأ على مهل كي يتطهّر لينصت باهتمام أو يتأمل السؤالَ.

تداخلت خيوط حياته أمام عينيه وكأنها نفس اللون والملمس. استبشع التكرار وهاله أنه طوال أربعين سنة لم يخرج على هذي الألوان، ولم يلمس شيئا غيرها، وكأنه

محبوس في خيوطها، أو كأن الخيوط تَنْزل ستائرَ سميكة أمام عينيه فلا يستطيع أن يرى جديدا أو يغيّر زاوية نظره.

فكّر في أن يثور على كل شيء، لكنه أحس بسَكِينة اللحظة، وأحس بأن الثورة عمل صبياني سرعان ما سيتعود عليها وتصير جمودا. فقط غض النظر على كل ما فات، أو نظر إليه من زاوية الريح، وفكّر في الطريق الجديد الذي يمكنه أن يسلكه حتى يطرب للغة الريح في أذنيه.

6 أغسطس 2009

المَلِك الذي سيجيء

مهداة إلى بهاء طاهر و"أنا الملك جئت"

يراها تنزوي. تفر بعيدا عن لغة الصحراء. تتخذ الاعتياد "هُبَلا" وكانت لغة "الفتح" قد تفتَّحت للألسنة المواتية. تترك بهجتها عرضة لقطّاع الحياة....

كانت عيناها ظلاما، فصارت عين شمسا وعين قمرا. كانت ربوعها سديما، فتشكلت منها الأنهار والبحار واليابسة والمحيطات. كانت أنهارها رقراقة هادرة، كانت نماء فاخضرت اليابسة، نبتت الغابات والأشجار والمحاصيل. كانت خصوبة، فتدفقت الأرض حياة وأحياء.

كانت، ولكنها لم تكن تعرف إصرارا أو تدرك تحقُّقًا... لم تستجبْ لهمس النخيل في أذنيها، لم ترَ فيه سوى تمرٍ مُجَفَّفٍ يُباع في الأسواق، مع أن الأسواق حكمة السائرين تيقظا.

يشمُّ في همس النخيل حياةً ولغةً. يعتلي نخلة تندهه. يترك مُؤَشِّرَهُ في مهبِّ الريح ليلتقط كل أثير. يكتشف لغة أبجديات لم يكن يعرف كيف يتهجَّاها فيها. يلتفت لها. يكتشف ثقة كانت خافية عليه. يقرأ سِفْرَ تكوين يتراءى على صفحة الرمال. ينطلقان في عمق الصحراء بحثا عن المَلِك الذي سيجيء.

رؤيا الألوان

قالت:

- ما كل هذه النقاط الصفراء التي تملأ الحوض والصابونة وتتسلل إلى يدي؟

كانت نظرةُ الفزع في عينيها وملامحُ الألم على وجهها صادقةً. لكنني فحصتُ الحوض ونظرتُ إلى الصابونة ويديها، ولم أرَ شيئا. عندما أحسَّتْ بأنني غير مصدِّقٍ لها أو لألوانها الصفراء، قالت لي:

- اذهب والبسْ نظارتَكَ علَّك تصدِّقُني.

نظر الأطفال إلى يديها، وتناقلت عيونهم النظرات بينها وبيني. لكنهم لم يثبتوا شيئا، ولم ينفوا شيئا. فأعدتُ النظر ووجدت الصابونة مازلت بنفسجية اللون والحوض مازال أبيض. لبستُ نظارتي ولم يقوَ نظري أو أبصر النقاط الصفراء. أسرعتْ ابنتي إلى الحوض الآخر ثم عادت

بالصابونة الأخرى وأعطتها لأمها التي نظرت إليها ورأتها مليئة بالنقط الصفراء.

استعذت بالله من الشيطان الرجيم، وتشهَّدْتُ، وأنا أحضنها وأحاول أن أمنعها من الغسيل المحموم ليديها والحوض. كانت تحاول جاهدة أن تفتح عينيها، لكن نظرتها كانت شاخصة كأنها نظرة عيون ثابتة في لوحة معلقة على الحائط بالصالة. احتضنتُها في قلق وخرجتُ بها إلى الصالة.

أخذتُها في صدري وأنا أغمض عيني عساي أفتحهما ولا ترى نقاطا صفراء على كل شيء حولها. ولكن عندما وجدتُ كل شيء حولي نقاطا بيضاء كأنها الكفن، سارعت بفتحهما وأنا أقبِّل شَعَرَها وأنظر إلى أطفالي في شفقة.

17 نوفمبر 2009

حزن العاصفة

-1-

حينما حزنتْ على نفسها من إشفاقه، جفَّفتْ دموعها وأخذت تصمت رويدا إلى أن هبَّت واقفة كالعاصفة تدعوه للمبارزة.

-2-

قال كلاما كثيرا، لكنني لم ألتقط من كلامه شيئا سوى أنه مر غاضبا دون أن أعرف سببا، دون أن أتفوه بكلمة.

-3-

كلمة تحوم في الهواء حول رأسي. تحاول أن تجد فتحة تدخل منها. لكن أعضاءها تتهاوى دون أن تتمكن من أن تترك بصمتها، دون أن تتجسد على لساني، فأقوم كالعاصفة من مقعدي وأهبُّ في وجهه.

-4-

هل كان هنا بجانبي؟ أم أنه كان يجلس على المقهى بجواري؟ أم كانت هي تشمئز من شفقتي؟ كانت وكنتُ أو مازلتُ هنا أعدُّ كلماتي العاجزة أمام أسواري، وأرشُّ لها بيدي الماءَ علَّها تقوى، أو تنتفض لتنفخ في الجدار فينهار. تعتلي هي سماء عيني وتحلق في خاطري.

28 نوفمبر 2009

تحت القبة

وقفتْ في الهواء أمام الأسلاك. دارت على باقي النوافذ فوجدتها كلها مغلقة. كان المنظر مثيرا بالنسبة لها:

- ما الذي يدعو سكان هذه الشقة للتحصُّن خلف كل هذه النوافذ والأسلاك، فلا يَتْرُكُون لنا فرصة للدخول أو الاستكشاف أو الزيارة.

حاولتْ أن تمرِّر جسدها من بين الأسلاك، لكن المسافة بين هذه الأسلاك كانت مربعات ضيِّقَةً لا تُدْخِلُ شيئا سوى الغبار. هللتْ عندما رأت نافذة تُفْتَحُ وصوتا ينادي على بائع أنابيب الغاز، فتسللتْ خفية قبل أن يغلقَ النافذة.

أحسَّتْ بنشوة عجيبة وسط هذه الأجواء التي لم تدخلها من قبل. حاولت أن تستكشف المخابئ أو الكنوز التي يخبئها أهل هذه الشقة خلف كل هذه النوافذ والأسلاك. لكنها لم تعثر على شيء، فكل شيء في الشقة ربما حتى يقل عما هو موجود في الشقق الأخرى:

- أهلا! لماذا كل هذه الأسلاك والنوافذ؟ أتكون مصيدة أو فخًّا يصطادوننا به؟ لا يوجد شيء فريد في هذه الشقَّة، يبدو أن افتتاني كان وهمًا، وكنتُ...

ولكنها لم تكمل أفكارها، إذ أنها سمعت صرخة مدوية وسيدة تنظر إليها في فزع ثم تجري في أرجاء الشقة وهي تنادي على رجل ربما كان زوجها الذي فتح النافذة:

- يبدو أنهم خائفون أيضا.

قالتها وهي تحاول أن تعوِّض خيبة أملها بأن تطارد هذه السيدة، ولكن من تحت السقف مباشرة كي لا تعطي أحدا فرصة لاصطيادها أو قتلها.

3 ديسمبر 2009

لضم الأسماء

فتافيت صورة تبدأ في التشكّل بقلق. تلملم شتات الصور من كل الألبومات. تعيد تشكيلها علّها ترسم صورا قابلة للتشكل في لوحات. تنقش رسما على صفحة النهر. تجمّع خيوط حكايات قديمة وأساليب كادت تنساها. تكتب كلمات على الطين. تفرح بحركة الحروف وسط النداوة والطراوة والخط الذي يتسلق لحن خطاه في ثقة وشكٍّ. تبتسم لها وجوه من طمي تبذرُ رزازَ الماء في مختلف العصور علّ البذورَ الخبيئة تخضرّ فتُبْرِد نارَ ألغامٍ رابضة في رمال بائرة.

تتشكل في عينيها ملامح وجوه أخرى عندما ترى طائرة تحلّق في أفق تمدُّ يدها لتطوله، فتفرِخ ثمرة صخب بري وسط فراغ ممتد ورمال تسبقه بخطوة وعشرة أمتار من الجليد. تبتهل لأوان تهيؤ عندما يمتد الصخب وسط البراري. تنفجر أسئلة وطن في وجهها كأن الألغام عاندت الخضرة ورفضت أن تبرد نارها. وعندما لا تجد أحدا يهدي عقلها

الحائر، لا تنتظر أحدا. تتحسس جسدها المتوازي في البلدان وتجمّع شتات أحبال صوتها حتى يغلب الرمال التي تكاد تخنقه، فتكتشف مرآة بدأت تطل عليها من وجه القصيدة.

19 يونيو 2009

اشتعال الأسئلة

- أأنت فلان؟

- بفكره وقلبه وعصبه.

- أنا سكرتير جائزة...

- يا أهلا بالجوائز.

- يا مائة أهلا بالخسائر.

- لماذا؟

- لا شيء. فقط اتصلت بك لأخبرك بأن ديوانك "اشتعال الأسئلة" لم يفز بأي جائزة لدينا ولا حتى بالتنويه.

- نعم. اشتعلت الأسئلة وربما احترقت. لكن اسمح لي أن أسألك سؤالا.

- لا بأس. بشرط ألا يحرقني سؤالك.

- ما الذي جعلك تتصل بي؟

- سؤال لسع يدي فَطَلَبَتْ رقمَكَ.

- وهل تنقصني أسئلةٌ؟

- وما ذنب يدي حتى تحترقَ؟

- لا ذنب لي. لا ذنب لك.

- هل أغلق الخط؟

- أغلقه قبل أن ينفجر سؤال في أذنيك.

25 يونيو 2009

عن المؤلف

ولد جمال محمد عبد الرؤوف محمد الجزيري في 2 أغسطس 1973 بجهينة، محافظة سوهاج، مصر. كاتب قصة وشاعر وروائي ومترجم وكاتب مسرح وناقد ودكتور جامعي. بدأ مشواره الأدبي في عام 1991. تخرج في قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب بسوهاج 1995. حصل على الماجستير من قسم اللغة الإنجليزية بآداب القاهرة 1998عن رسالة بعنوان "تحولات المنظور في شعر روى فولر1936 – 1961"، ثم على الدكتوراه من قسم اللغة الإنجليزية بآداب عين شمس عام 2002 عن رسالة بعنوان "جوانب السرد في شعر روجر ماكجوف 1967 – 1987". يعمل منذ عام 1999 بقسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية بالسويس، جامعة السويس بمصر وانتقل بعدها ليعمل بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في نفس الجامعة، ويعمل حاليا بقسم اللغات والترجمة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة بالمدينة المنورة. وقام في يناير 2014 بتأسيس مجموعة سنا الومضة على الفيسبوك بالاشتراك مع الأستاذ عصام الشريف (مصر) والأستاذ عباس طمبل (السودان)، وهي مجموعة تعني بشئون القصة الومضة نظريا وتطبيقيا ونقدا وإبداعا. كما قام في شهر مايو 2014 بتأسيس دار حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني.

الاسم بالكامل: جمال محمد عبد الرؤوف محمد

اسم الشهرة والنشر: جمال الجزيري

الجنسية: مصري

المهنة: دكتور جامعي، تخصص الأدب الإنجليزي

البريد الإلكتروني: elgezeery@gmail.com

جـوائـز

* المركز الأول في القصة القصيرة من جامعة جنوب الوادي 1995

فهرس